الإصدار الثاني في سلسة "تجارب"

(سلسلة من التقارير والبحوث عن أبرز الأحداث التي أثرت في مسار التاريخ)

# الثورة الروسية من التعثر إلى النهوض (1905-1918)

حسان عمران

ماجستير في القانون الدولي

01 حزيران/يونيو 2016

إدراك للدراسات والاستشارات
IDRAK FOR STUDIES & CONSULTATIONS

الفهرس

تمهيد ..... 3
فهرس المصطلاحات ..... 3
الخط الزمني للثورة ..... 5
مقدمة ..... 6
المرحلة الأولى: الموجة الثورية الأولى 1905 ..... 6
الدوافع والأسباب: ..... 7
ارهاصات ما قبل الثورة: صعود المعارضة السياسية للقيصر ..... 10
اندلاع الشرارة الأولى: مذبحة "الأحد الدامي" ..... 11
تبعات الموجة الثورية الأولى ..... 13
المرحلة الثانية: الثورة العارمة وانتصار البلشفيين 1917-1918 ..... 15
ظروف ما قبل الثورة ..... 15
ثورة فبراير ..... 17
ثورة أكتوبر ..... 20
ما بعد إسقاط الحكومة ..... 21
المرحلة الثالثة: الحرب الأهلية 1918-1923 ..... 22
مراحل الحرب الأهلية: ..... 23
إعدام القيصر: ..... 24
آثار وميراث الثورة الروسية ..... 25
أسباب انتصار البلاشفة ..... 26
المراجع ..... 26

تمهيد

## فهرس الشخصيات والتنظيمات والمصطلحات

فهرس المصطلحات

المصطلحات:

**بروليتاريا:** هي كلمة مشـتقة من اللاتينية واسـتخدمت لتعني الطبقة الاجتماعية أو الطبقة الكادحة من أجل لقمة العيش في المجتمع الرأسـمالي، ويعتبر الممتلك المادي الوحيد لهذه الطبقة هو قدرتهم على العمل فقط. وكان كارل ماركس هو أول من طرح نظرية سـياسـية تتمحور حولهم، وتبنى الثوريون الروس، وعلى رأسهم لينين والبلاشفة، أفكار ماركس لاحقاً.

**السوفييت:** السوفييت تعني حرفياً باللغة الروسية "المجلس". واستخدمت في مطلع القرن العشرين كمرادفة للمجالس والاتحادات العمّالية التي تأسست في المدن المختلفة. ولاقت السوفييت رواجاً مع اندلاع الموجة الثورية الأولى عام 1905 إلا أنها لم تنجح في قيادة الثورة. ولكن مع حلول عام 1917، لعبت السوفييت دوراً محورياً في قيادة الثورة وتوجيهها. وكان المكون الأبرز فيها هو المكون الاشتراكي الثوري إلى حين سيطرة البلشفيين عليها.

**الدوما:** هو المجلس التشريعي (البرلمان) في روسيا. وكان لكل ولاية مجلس دوما خاص فيها.

الأحزاب والتجمعات:

**الحزب الديموقراطي الدسـتوري (الكاديت):** مجموعة سـياسـية كانت تطالب بملكية دسـتورية ومن ثم بجمهورية دسـتورية. وكانوا على قناعة تامّة بالمبادئ الليبرالية مما جعلهم في صدام مباشر مع البلشفيين حول طبيعة "الإصلاح" المنشود وشكل الدولة.

**حزب العمال الديموقراطي الاشتراكي الروسي:** تم تأسيس الحزب عام 1898 ليكون من طليعة التجمعات الثورية ضد الحكم القيصري. وكان أشبه بمظلّة لتجمعات ثورية ولم يكن متجانس الرؤية. وفي عام 1903 انقسم الحزب إلى منشفيين وبلشفيين.

**الحزب الاشتراكي الثوري:** كان أحد الأحزاب الثورية الروسية ويتبنى الاشتراكية الثورية إلا أنه كان أقل راديكالية من البلشفيين. تحالفوا مع المنشفيين في أغلب المراحل الثورية إلا أنهم انقسموا مع انطلاق ثورة أكتوبر.

**البلشـفيون والمنشـفيون:** كان التجمعان أعضاء في حزب تالعمال الديموقراطي الاشـتراكي الروسي إلا أنهم انقسـموا إلى منشـفيين (وتعني الأغلبية) ومنشـفيين (وتعني الأقلية). ويعتبر البلشـفيون راديكاليين في طرحهم السـياسي ويتبنون المنهج الثوري لإقامة نظام اشـتراكي مبني على أساس ديكتاتورية البروليتاريا التي طرحها لينين. وقام الحزب بثورة أكتوبر عام 1917 التي مهدت لقيام الإتحاد السوفييتي.

أما المنشفيون فكانوا مناصرين لديموقراطية اشتراكية وتحالفوا مع الإشتراكيين الثوريين، ولكن انتهى أثرهم لاحقاً.

**الجيش الأحمر:** هو جيش العمال والفلاحين الأحمر. أشـرف ليون تروتسـكي على تأسـيسـه بناء على تعلميات لينين ليخلف الحرس الأحمر كالقوة العسكرية الأساسية التابعة للنظام السوفييتي التي تأسس عقب ثورة أكتوبر عام 1917. وكان له الدور الحاسم في الحرب الأهلية الروسية ومن ثم الحرب العالمية الثانية.

**الجيش الأبيض:** هو القوة العسـكرية التابعة للحركة البيضـاء التي تأسـسـت بهدف إسـقاط الحكم البلشـفي. وخاض الجيش الأبيض الحرب الأهلية الروسية ضد الجيش الأحمر إلا أن دفاعاته انهارت بعد قرابة 4 سنوات من الحرب عام 1922.

الشخصيات:

**القيصـر ألكسـاندر الثاني:** هو القيصـر الذي ألغى العبودية رسـمياً في روسـيا عام 1861. وتم اغتياله من قبل إحدى المجموعات الثورية عان 1881 ليخلفه ابنه ألكسندر الثالث الذي قام باعتماد سياسة القبضة الحديدية للقضاء على المعارضة.

**القيصـر نيكولاس الثاني:** آخر قيصـر للإمبراطورية الروسـية. حكم منذ عام 1894 حتى 1917 حينما تم خلعه بعد ثورة فبراير. وتم إعدامه وعائلته في العام التالي. كان ميكولاس الثاني مسـتبداً في الحكم وكان يتدخل في شـؤون الحكم مباشـرة مما سـبب اسـتياء الناس، وكان يرى نفسه ظل الله في أرضه وأنه مفوض من الرب ليحكم البلاد.

**غريغوري راسبوتين:** فلاح روسي وولي حسب ما ادّعى. كان له تأثير كبير على زوجة القيصر نيكولاس مما أثار إستياء الناس لما عرف عنه من عادات جنسية شاذة.

**فلاديمير لينين**: هو مؤسس الحزب البلشفي الذي قاد ثورة أكتوبر وأول رئيس للإتحاد السوفييتي. وهو المنظر الأبرز للثورة الروسية عام 1917 والنظام الشيوعي وهو من طرح فكرة "ديكتاتورية البروليتاريا".

**ليون تروتسكي:** أحد أهم قيادات الحزب البلشفي وثورة أكتوبر. كان فيلا البداية من المنشفيين إلا أنه انضم لاحقاً إلى البلاشفة ليصبح مقرباً من لينين وقائد قوات الحرس الأحمر وبعده أشرف على تشكيل وقيادة الجيش الأحمر.

**جورجي غابون:** هو راهب روسي مثير للجدل. قام في مطلع القرن العشرين بتأسيس تجمع للعمال للمطالبة بحقوقهم في ظل الحكم القيصري. وهو من نظم المسيرة الشهيرة عام 1905 نحو القصر القيصري والذي أدى إلى المذبحة التي عرفت بالأحد الدامي والتي أشعلت الثورة الأولى. ولكن قام أحد أعضاء الحزب الاشتراكي الثوري باغتياله عام 1906 بعدما اعترف بتنسيقه مع الداخلية.

**بيترستوليبين:** هو رئيس وزراء القيصر نيكولاس الثاني وهو من أشرف على القضاء على الثورة الاولى. وتم اغتياله عام 1911 عبر ناشط ثوري.

**سيرجي ويت:** رئيس وزراء القيصر نيكولاس وهو من أشرف على إعداد بيان أكتوبر الشهير الذي أعان على إخماد ثورة 1905.

**أليكساندر كيرينسكي:** عضو في الحزب الاشتراكي الثوري وشارك في الحكومة المؤقتة وسوفييت بتروغراد. واستلم رئاسة الحكومة المؤقتة التي استلمت الحكم بعد سقوط القيصر في ثورة فبراير. وقام البلشفيون باسقاطه بعد ثمانية شهور في ثورة أكتوبر.

**الخط الزمني للثورة الروسية**

1898: تأسيس حزب العمال الديموقراطي الاشتراكي الروسي

1899 : اعتصام كبير لطلبة الجامعات في روسيا

1902: تأسيس الحزب الاشتراكي الثوري

1903: انقسام حزب العمال بين بلشفيين ومنشفيين

1904: الحرب الروسية الروسية

1905: "الأحد الدامي" واندلاع الثورة الروسية الأولى؛ وتأسيس حزب الكاديت (ديموقراطي دستوري)؛ وإصدار بيان أكتوبر

1906: الدستور الروسي؛ واستلام ستوليبين لرئاسة الوزراء وقضاءه على الثوريين

1907: تضييق قانون الإنخاب على مجلس الدوما

1911: اغتيال ستوليبين من قبل ناشط اشتراكي ثوري.

1914: اندلاع الحرب العالمية الأولى مع ألمانيا؛ وهزيمة مؤلمة لروسيا في بروسيا.

1915: الألمان يحتلون بولندا ويطردون الجيش الروسي منها؛ وتولي نيكولاس رئاسة أركان الجيش بنفسه.

1916: هجوم الدوما على الحكومة؛ واغتيال راسبوتين

1917: مظاهرات وعصيان في العاصمة بتروغراد فيما عرف بثورة فبراير؛ وخلع القيصر وتأسيس الحكومة المؤقتة بالاتفاق مع سوفييت بتروغراد لتبدأ مرحلة ثنائية السلطة؛ واندلاع ثورة أكتوبر بقيادة البلاشفة ضد الحكومة المؤقتة لتأسيس نظام شيوعي؛ وتأسيس جهاز الأمن "التشيكا"؛ وتشكيل الجيش الأبيض المناهض للبلاشفة.

1918: حل البلاشفة للجمعية التأسيسية؛ وتنكر الحكومة السوفييتية للدين الخارجي؛ وتأسيس الجيش الأحمر ليخلف الحرس الأحمر؛ وتوقيع اتفاق سلام مع ألمانيا لإخراج روسيا من الحرب؛ وانتقال العاصمة إلى موسكو؛ واندلاع الحرب الأهلية بين الجيشين الأحمر السوفييتي والأبيض المناهض للبلاشفة بدعم من الحلفاء.

1919: تأسيس الشيوعية الدولية؛ واستمرار الحرب الاهلية

1921: إنهاك الجيش الأبيض وطرده من أغلب معاقله؛ وانتشار مجاعة شديدة في أغلب أنحاء روسيا

1922: انتهاء الحرب الأهلية؛ وتعيين ستالين الأمين العام للحزب

1924: وفاة لينين بعد إصابته بالشلل

**مقدمة**

قبل أكثر من ١٠٠ عام، أسقطت الجماهير العمالية في واحد من أهم انتصاراتها ما كان ينظر إليه على أنه واحد من أعتى الأنظمة في العالم آنذاك، وفتحت الباب لنظام جديد نادى بتحقيق العدالة والحرية والمساواة بأيدي الجماهير الكادحة. لتصبح ولو لفترة من الزمن مصدر الإلهام للعديد من الحركات الثورية في العديد من المناطق حول العالم.

في كتابه "تاريخ الثورة الروسية"، يوضح تروتسكي (القائد الاشتراكي الثوري الروسي) فساد النظام القديم من خلال وصف القيصر نيكولاس الثاني كالتالي:

"كان هذا الرجل التافه، الهادئ، المتزن، "المُربى جيدا" ، شخصاً قاسياً إلى درجة الإجرام. ولم تكن قسوته إيجابية فعالة تعمل لتحقيق أهداف تاريخية كقوة إيفان الهائلة أو قسوة بطرس، ولكنها كانت قسوة جبانة كقسوة شخص خائف من الإحساس بأنه محكوم عليه؛ فلقد هنأ في مطلع حكمه "رجال فوج فاناغوريا الشجعان" الذين أطلقوا النار على العمال. وكان يقرأ دائما "بكل شغف" كيف جُلد الطلاب "ذوو الشعور القصيرة" بالسياط الجلدية، وكيف هُشمت رؤوس أشخاص عُزّل من السلاح في معابد اليهود، كان ذلك الشخص "الجذاب" فاقد الإرادة والهدف والخيال، أشد رهبة وإجرامًا من كافة طغاة التاريخ القديم والحديث."

لم تظهر الرأسمالية بنفس الوتيرة المتزايدة التي كانت عليها في أوروبا الغربية، ولكن على المستوى التكنولوجي والإنتاجي كانت على نفس الخُطى بل تخطت الغرب. في عام 1914، في الولايات المتحدة، كان يعمل 17.8 في المئة من القوى العاملة في المشاريع العملاقة من 1000 عامل أو أكثر. ولكن في روسيا، وصل المعدل لـ 41.4%. وكان مصنع بوتيلوف في بتروجراد أكبر مصنع في العالم، ويعمل به أكثر من 30 ألف عامل في عام 1917.

كان لهذا" التطور المتفاوت"، على حد تعبير تروتسكي(القائد الاشتراكي الثوري الروسي ومؤلف كتاب تاريخ الثورة الروسية)، العديد من العواقب السياسية. أولها أنه بينما كان النظام القيصري على رأس البلاد، كان يُعدّ للإطاحة به والمجيء بنظام أكثر ديمقراطية، وثانيها أنّ الطبقة التي أدت لهذه الثورات في الغرب -الطبقة الرأسمالية -كانت ضعيفة وخجولة ومتراجعة. وكانت البرجوازية الروسية تملك آلاف الطرق للسيطرة على الرأسمالية الدولية التي تمولها، وترتيبات وتنازلات شتى مع النظام القيصري.

وفي الوقت نفسه، ونظراً لتطور الرأسمالية السريع في المدن، بينما كانت الطبقة العاملة الروسية لا تزال أقلية في المجتمع ككل، كانت أكثر تقدماً نسبياً من حيث التنظيم الطبقي، وبالتالي كانت الطبقة العاملة–على مستوى الوعي الطبقي-أكثر استعداداً بكثير لأخذ زمام المبادرة في النضال ضد النظام القيصري.

كان من أبرز آثار الثورة الروسية هو سقوط المنظومة القيصرية إلى الأبد وتأسيس نظام جديد لم يعهده العالم من قبل؛ وهو نظام اتحاد المجالس (السوفييت) الذي يقوم على مبدأ ديكتاتورية البروليتاريا التي أسس لها لينين. فأصبح النظام الجديد متمركزاً حول العمال والفلاحين كظاهرة جديدة في التاريخ. ولم يقتصر الأثر السياسي على النظام السياسي الروسي، بل على المنظومة الدولية كاملة. فقد أسست الثورة لمنظومة ثورية عمّالية ترى نفسها مسؤولة عن تصدير الثورة الاشتراكية للخارج. فقد سعى لينين مباشرة إلى تصدير الثورة إلى أوروبا وأنحاء مختلفة من العالم. وبعد الحرب العالمية الثانية، انقسم العالم لأول مرة في التاريخ إلى قطبين، تقود روسيا السوفييتية أحدهم في مواجهة الولايات المتحدة على الطرف الآخر. فأصبحت السياسة الدولية قائمة على الفعل ورد الفعل الناتج من هذين القطبين.

**المرحلة الأولى: الموجة الثورية الأولى 1905**

كانت ثورة عام 1905 عبارة عن موجة من الهبّات والاحتجاجات والفوضى الجماهيرية التي أثّرت على الحياة السياسية والإجتماعية في روسيا أثناء حكم الإمبراطورية الروسية بقيادة آل رومانوف. وبدأت الهبات باعتصامات للعمال والفلاحين مطالبين بإصلاحات إقتصادية واجتماعية لتتطور إلى حركة شعبية جارفة أثرت على المجرى السياسي والإجتماعي الروسي.

الدوافع والأسباب:

كانت أحداث عام 1905 عبارة عن حصيلة تراكم مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية التي أدت إلى انفجار الوسط العمالي بدايةً ومن ثم ليشمل بقية شرائح المجتمع في الإمبراطورية الروسية. وحسب بعض المؤرخين[1] فإن هنالك 4 مشاكل أو دوافع رئيسية أدت إلى توجه البلاد نحو تلك الأحداث وهي: المشكلة الزراعية، ومشكلة الجنسية، ومشكلة الأيدي العاملة، ومشكلة الطبقة المتعلمة. ولربما لو اجتمعت بعض هذه العوامل بشكل منفصل لما أدت إلى ثورة عام 1905، إلا أن اجتماعها وتراكمها في نفس الجغرافيا والفترة الزمنية دفع البلاد بشكل لا يمكن تفاديه باتجّاه ما حصل.

ومع نهاية القرن التاسع عشر، ازدادت وتيرة السخط على الملكية عموماً. وتجسد الغضب الجماهيري في أحزاب سياسية مناهضة للملكية ومن ثم في احتجاجات عمّالية تطالب برفع الرواتب وتحسين مستوى المعيشة، ومظاهرات للفلاحين، ولطلاب الجامعات ولاحقاً في اغتيالات لبعض المسؤولين الحكوميين، قام بها أعضاء في الحزب الشيوعي الثوري.[2]

ولم تفلح محاولات الحكومة في وأد هذه الدوافع قبل وصولها إلى اللحظة الحرجة. فقد كانت كافة محاولات الحكومة إجراءات تخديرية وتهدف لصرف انتباه الساخطين بدلاً من إيجاد حلول لأسس المشاكل التي تعاني منها البلاد.

<u>أولاً: المشكلة الزراعية:</u>

ازدادت مديونية النبلاء في نهايات القرن التاسع عشرمما اضطرهم لرهن جزء كبيرمن ممتلكاتهم لبنك الأراضي أو بيعها للبلديات أو التجار أو الفلاحين. ومع اندلاع الثورة كان ثلث إقطاعيات النبلاء مرهونة للبنوك والثلث الآخر تم بيعه. وكانت الحكومة تسعى آنذاك لتحويل الفلاحين إلى طبقة محافظة سياسياً ومالكة للأراضي مع دفع ضرائب معقولة، وقامت بترويج ذلك عبر سلسلة من التشريعات التي سهلت شراء الفلاحين للأراضي من النبلاء.

إلا أن ذلك لم يكن بنفس الحسن الذي يتبدى في الوهلة الأولى. فالأراضي التي يشتريها الفلاحون كانت ملكاً لمجتمع الفلاحين، لا للفلاح مباشرة. فالفلاح الواحد حقوق لأجزاء من الأراضي التي تتبع للفلاحين تحت "نظام الحقول المفتوحة". وهذا يعني أن الفلاح لم يكن مخولاً ببيع الأرض أو رهنها، فهي ملك لمجتمع الفلاحين الذي ينتمي له، لا له مباشرة. ولم يكن له حق التخلي عن حقه في الأرض مما جعله مجبراً دائماً على دفع جزية عن حصته الإجبارية لمجلس الفلاحين الذي يديرأراضيهم.[543] وكان هدف الحكومة من وراء ذلك عدم توسيع الطبقة العاملة وبالتالي زيادة الهوة بين الملاك والعمال، إلا أن الحصص البسيطة من الأراضي لم تكن تكفيهم لسد احتياجاتهم.

ومع وصول العام العاشر للقيصر نيكولاس الثاني في الحكم، كانت حالة الفلاحين قد بلغت مستويات مخيفة من الفقر والجوع مما أدى لرحيلهم وانتشارهم في البلاد طلبا للرزق والعمل. وسببت هذه المعاناة نقمة لدى الفلاحين تجاه النخب الحاكمة والملكية. وفي عام 1902 قام آلاف من الفلاحين بعمليات شغب عام ونهب لأموال وممتلكات النبلاء قبل أن تأتي القوات الملكية وتقضي على أعمال الشغب.[6] ولفتت أعمال الشغب انتباه الحكومة التي قامت بدورها بتشكيل لجان للتحقيق والاستقصاء عن أسباب المشكلة. وتوصلت اللجان إلى

---

[1] Harcave, Sidney. *The Russian Revolution*. London: Collier Books. 1970.

[2] Defronzo, James. Revolutions and Revolutionary Moments. New York: Westview Press. 2011

[3] Harcave, 1970, 21

[4] السابق, 29

[5] Skocpol, Theda. States and Social Revolutions. Cambridge: Cambridge University Press. 1979. p. 93.

[6] Harcave, 20

أن القرى والضـواحي تعاني من نقص في الموارد والإحتياجات الأسـاسـية وأن الأراضـي الزراعية الخصـبة في حالة تراجع. ومع التمدد السـكاني الهائل للفلاحين وتراكم المشـاكل وتعقدها وضـعف الاهتمام الحكومي بها تفاقمت المشـكلة فوجدت اللجان صـعوبة في إيجاد حلول "مقبولة" بالنسبة للحكومة.[7]

ثانياً: مشكلة الجنسية:

وكغيرها من الإمبراطوريات الواسـعة، كانت روسـيا القيصـرية تجمعاً لثقافات وديانات وعرقيات مختلفة تنضـوي تحت راية القيصـر. إلا أن الروس السـلاف نظروا بعين الاسـتحقار للثقافات والأديان الأخرى داخل الإمبراطورية، بالرغم من أن الدولة تسـامحت -من الناحية النظرية- مع الحفاظ على الهويات الثقافية المختلفة. فكانت هنالك هرمية واضـحة في النظر تجاه الآخر في داخل الدولة بحيث كانت الثقافة الأوروبية هي رمز التقدم والحضـارة بينما كانت الثقافات الآسـيوية والإفريقية تحتل مكانة دونية.[8] فكان اليهود مثلاً ينظر إليهم كمشـكلة تحتاج إلى حل. وكان البولنديون يحرمون من هويتهم الثقافية والعرقية في الوثائق القانونية والرسـمية. وكان هنالك موجة من "الروسنة" داخل الدولة أدت إلى احتقان الأقليات الكثيرة الموجودة داخل الدولة المترامية الأطراف وتناقص ولاءها.[9]

ورغم الآثار السـلبية للروسـنة إلا أن دوافعها كانت أبرز من آثارها السـلبية بالنسـبة للحكومة؛ فبعد احتقان السـكان من تحرير العبيد وثورة البولنديين عام 1863 -التي رآها القيصـر خطراً شـديداً على وحدة الدولة- والبدأ بتوحيد ألمانيا في الجوار المباشـر، رأى القيصـر أن إضفاء الطابع الروسي المميّز لجميع سكان الإمبراطورية أمر لا بد منه لضمان وحدتها السياسية.

ثالثاً: مشكلة الأيدي العاملة:

كان وضـع الاقتصـاد الروسـي إبان الثورة الأولى قاتماً جداً. فقد حاولت الحكومة التوجه نحو الاقتصـاد الرأسـمالي عبر تبني سـياسـات السـوق الحر إلا أنها فشـلت فشـل ذريعاً لعدم تأقلم الاقتصـادي الروسـي مع هذه السـياسـات لغاية تسـعينيات القرن التاسـع عشـر. وفي هذه الأثناء حصـل كسـاد في الإنتاج الزراعي وسـقطت أسـعار الحبوب دولياً وازدادت ديون روسـيا وحاجتها للاسـتيراد من الخارج. وزادت النفقات العسكرية الهائلة من أثقال الحكومة الروسية وعجز الفلاحون عن دفع الضرائب مما قاد البلاد نحو المجاعة عام 1891.[10]

وفي تسـعينيات القرن قام وزير المالية سـيرجي ويت بإطلاق مشـروع يهدف لتوجيه البلاد نحو التصنيع. وحقق مشـروعه نجاحات على عدة صـعـد. إلا أن المفارقة كانت أن نجاح ويت كان سـبباً في اندلاع الموجة الثورية الأولى عام 1905 حيث أنها أججت التوتر الاجتماعي؛ فقد جمعت البروليتاريا إضـافة للاتحادات الطلابية الثائرة في مراكز القوى السـياسـية، فقد كان التصـنيع في صـالح الجميع.[11] وكان لدخول الفلاح عالم العمل فرصـة في ربطه في المدينة ومن ثم ربط قريته بها وبالتالي إخراج الفلاحين والقرى من حالة العزلة السـياسـية والبعد عن المجريات السياسية والاقتصادية في المدن.[12]

وبعد فترات قصـيرة بدأ العمال يشـعرون بحالة من عدم الرضـى عن الحماية الحكومية لحقوقهم. فبالرغم من سـن الحكومة لبعض التشريعات التي تكفل حقوقهم إلا أنهم اعتبروها ناقصة وغير كافية، تحديداً أنها لم تحدد ساعات العمل، عدا عن الضرائب والعقوبات الكبيرة. وكانت أجور العمال الروس هي الأقل في أوروبا. ومع مرور الوقت نمت حالة الاسـتياء لتتحول إلى سـخط وإحباط لدى العمال الأكثر فقراً مما دفعهم نحو الأفكار الأكثر تطرفاً. ولاحقاً كان هؤلاء العمال هم عماد الاعتصامات والمظاهرات والأيديولوجيات الثورية التي ظهرت لاحقاً.

---

[7] السابق, 21

[8] Weeks, Theodore (December 2004). "Russification: Word and Practice 1863-1914". *Proceedings of the American Philosophical Society* 148. P. 472

[9] Staliūnas, Darius (2007). "Between Russification and Divide and Rule: Russian Nationality Policy in the Western Borderlands in Mid-19th Century". *Jahrbücher für Geschichte Osteuropas, Neue Folge*. 3, 55

[10] Skocpol, 1979, p. 90

[11] السابق، 91، 92

[12] Perrie, Maureen (November 1972). "The Russian Peasant Movement of 1905-1907: Its Social Composition and Revolutionary Significance". Past and Present 57: 124–125

وتعاملت الحكومة مع حالة السخط هذه بالطريقة المعهودة على الأنظمة الشمولية والديكتاتورية فقامت باعتقال كل من ألّب الرأي العام للعمّال وسن قوانين نمطية أخرى.[13] وخرجت الحكومة بفكرة الشرطة العمالية التي تتكون من عمال يقومون بالرقابة على زملائهم، إلا أنها أثبتت فشلها.

وفي الفترة ما بين عام 1900-1903 تعزز الركود الصناعي وأفلست العديد من الشركات مما زاد من نسبة البطالة لدى العمّال مما دفعهم للانضمام إلى اتحادات قانونية للمطالبة بحقوقهم. فقاموا بتنظيم إضرابات مقننة قامت باستقطاب أعداد كبيرة من العمال. وفي أحد الاعتصامات في جنوبي البلاد وصلت عدد المعتصمين إلى 225 ألف عامل من صناعات مختلفة.[14] ورغم أن هذه الاعتصامات لم تكن الاولى في تاريخ البلاد إلا أن تزامنها مع الوعي السياسي والأهداف العمالية العالية جعلها مسألة مؤرقة بالنسبة للحكومة التي ردّت بإغلاق الاتحادات القانونية التي دافعت عن حقوق العمال مع نهاية العام 1903.[15]

رابعاً: "مشكلة" الطبقة المتعلمة:

مع وصول القيصر ألكسندر الثاني للحكم تم إلغاء العبودية وإجراء إصلاحات إدارية واسعة اعتبرت اجراءات ثورية في ذلك الوقت. ومن تلك الإصلاحات كانت الإصلاحات التعليمية التي رفعت القيود عن الجامعات وألغت القوانين التي تقيد نشاط الطلبة مما أدى لتكوين بيئات طلابية نشطة. وتوسعت الجامعات وانتشرت وصاحبها انتشار سريع للصحف والمجلات العلمية والمنظمات الطلابية مما عزز من قيمة حرية التعبير. ونظرت الحكومة للتحركات الطلابية بعين الريبة والقلق. وقد وصف وزير الداخلية الروسي المدارس والمؤسسات التعليمية بأنها مشكلة حقيقية بالنسبة للحكومة، بدلاً من البحث عن السبب وراء احتقان تلك الطبقة. وتطور العمل الطلابي لتنظيم اعتصامات ومظاهرات واضرابات عن الإمتحانات وأعمال شغب احتجاجاً على تقييد الحريات العامة وتضامناً مع العمال المحتجين والمضربين ومع المعتقلين السياسيين.[16] [17]

وما كان من الحكومة إلا أن اعتبرت أن هذه الأعمال هي نتاج لنقص الوطنية والتدين لدى الطلاب. ورغم الانتشار الواسع لها إلا ان الحكومة ظنت أنها مسألة يمكن احتوائها. وحاولت الحكومة احتواء الأزمة عبر تغيير المناهج ونفي بعض الطلبة النشيطين أو طردهم أو إرسالهم للخدمة العسكرية إلا أن جميع هذه المحاولات فشلت في إخماد الحركة الطلابية المناهضة للحكومة.

وفي العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر كانت الجامعات إحدى أهم المنابع الثورية التي خرّجت الثوريين في روسيا.[18]

وحين اجتمعت هذه العوامل الأربعة، شكلت عامل حثٍّ هائل وجّه البلاد نحو الانفجار السلمي بداية عام 1905. فمشكلة الفلاحين والأيدي العاملة بأبعادها الاقتصادية والاجتماعية ومشكلة الأقليات الكثيرة المنتشرة في البلاد والتي حرمت فعلياً من العديد من الحقوق السياسية وانتشار الحركات الطلابية التي نشرت الوعي السياسي وأوجدت نقابات تعمل على تنظيم المناهضين للحكومة كانت -في مجموعها- مقدمة حتمية للثورة.

[13] Harcave, 23

[14] السابق، 24

[15] السابق

[16] السابق

[17] Morrissey, Susan (1998). Heralds of Revolution: Russian Students and the Mythologies of Radicalism. Oxford: Oxford University Press. p. 20, 22

[18] السابق، 23

**ارهاصات ما قبل الثورة: صعود المعارضة السياسية للقيصر**

اجتاحت روسيا نهضة سياسية وفكرية في بدايات القرن العشرين قبل اندلاع الثورة الأولى عام 1905. وكانت المظاهر الأكاديمية والسياسية التقدمية بادية من خلال التحركات الطلابية والنقابات والأحزاب السياسية التي تتنوع من المطالبين بالإصلاح إلى المناهضين للقيصر والملكية. واشتدت هذه الحركات في جنوبي روسيا وتجسدت في مظاهرات عارمة واضرابات واسعة ومطالب اقتصادية راديكالياً واصلاحات سياسية. وعززت هذه المطالب بعضها البعض حين قوبلت بتعنت الدولة والحكومة.

وانتشرت النقابات والأحزاب السياسية في تلك الفترة فتم تأسيس اتحاد الدستوريين عام 1903، واتحاد التحرير عام 1904 والذين طالبوا بملكية دستورية. وفي نفس الفترة كذلك ظهرت كتلتان اشتراكيتان ثوريتان كان لهما دور بارز في تشكيل تاريخ روسيا في السنين التي التالية؛ وهما: الحزب الاشتراكي الثوري (أو الاشتراكيون الثوريون) عام 1902، وحزب العمال الاشتراكي الديموقراطي الاشتراكي الروسي الذي تأسس كمظلة ثورية عام 1898 لينقسم لاحقاً في 1903 إلى بلشفيين ومنشفيين وبعض المحايدين.

وفي عام 1904 طالب الليبراليون بإصلاحات سياسية وإنشاء دستور للبلاد. وفي نفس العام أقر مجلس الدوما في موسكو قراراً يقضي بإنشاء مجلس تشريعي وطني منتخب، وبكفالة حرية الدين والصحافة، وتبعتها المجالس المحلية الأخرى في قرارات مشابهة.

و للتماشي مع تلك التحركات قام القيصر نيكولاس الثاني بتعيين الليبرالي بيوتر ديميتريفيتش وزيراً للداخلية إثر اغتيال الوزير بلهفي في نفس العام. وقام القيصر باستصدار بيان رسمي وسع فيه صلاحيات المجالس المحلية وأقر الضمان الاجتماعي للعمال وألغى الرقابة، إلا أنه تجاهل تماماً المطلب الأساسي في إنشاء دستور للبلاد وتشكيل مجلس وطني تشريعي منتخب.

<u>وتيرة الاعتصامات:</u>

وفي الفترة التي سبقت الثورة ارتفعت وتيرة الاعتصامات والإضرابات وارتفع سقف مطالبها الثورية وانتشرت إلى مناطق مختلفة لتشمل العواصم البعيدة مثل باكو عاصمة الأذر وكييف في أوكرانيا وغيرهم. وفي ما يلي جدول لوتيرة الإضرابات[19]:

| السنة | متوسط الاعتصامات سنوياً |
|---|---|
| 1869 – 1862 | 6 |
| 1884 – 1870 | 20 |
| 1894 – 1885 | 33 |
| 1905 – 1895 | 176 |

[19] Abraham Ascher, The Revolution of 1905: A Short History, page 6

**اندلاع الشرارة الأولى: مذبحة "الأحد الدامي"**

في ديسمبر نهاية العام 1904 في مدينة بطرسبرغ، دخلت مجموعة من العمال من منشئة "كيروف" لصنع سلاح المدفعية وسكك الحديد في في إضراب مفتوح احتجاجاً على تردي أوضاعهم. وسرعان ما انتشرت عدوى التضامن معهم لتتوسع حالة الإضراب لتشمل قرابة 150 ألف عامل من 382 مصنع. ومع قدوم السنة الجديدة تم تعطيل جميع مرافق المدينة وتحولت إلى مدينة أشباح خالية من الكهرباء أو الصحف أو أي من الخدمات.[20]

وفي هذه الأثناء كان قسيسٌ مثير للجدل يدعى غريغوري غابون يحشد العمال في جمعية تحت رعاية الداخلية للمطالبة بحقوقهم حسب ما ادّعى. وفي الثاني والعشرين من يناير من نفس العام قام بتنظيم مسيرة سلمية باتجاه قصر القيصر لتسليم عريضة تتضمن مطالب العمال وكانت أبرز نقاطها : تقليص ساعات العمل، ورفع الأجور، وأضيف عليها لاحقاً استجابة للمطالب السياسية تشكيل مجلس تشريعي منتخب يشرف على تشكيل الحكومة.[21] وانطلقت المسيرة المكونة من قرابة عامل 3000 حسب ادعاء الحكومة (وادعت المعارضة أن الرقم وصل ل50 ألف) مرددين أهازيج دينية وشعبية منها (فليحفظ الله القيصر) من دون أن يعلموا بأن القيصر لم يكن موجوداً في القصر. وما أن وصلت المسيرة وحاولت التقدم حتى فتح الحرس الإمبراطوري النار على المتظاهرين مما أدى إلى مقتل ما بين 200 – 1000 متظاهر حسب ادعاء الحكومة (بينما ادعت المعارضة أن الرقم وصل إلى 4000)[22] ونجى القسيس غابون من المذبحة التي أطلق عليها لاحقاً اسم "**الأحد الدامي**". واعتبر العديد من المؤرخين هذه الحادثة كالمقدمة الرئيسية لثورة عام 1905 ومن ثم للثورة الكبرى عام 1917 وسقوط القيصرية الروسية.

وأشعلت المذبحة الروح الثورية والغضب الشعبي الكامن فبدأت سلسلة من المظاهرات والإضرابات الحاشدة في مختلف أنحاء الإمبراطورية. ففي بولندا التابعة آنذاك للقيصر، أضرب قرابة 400 ألف عامل، ومعهم نصف عمال الإمبراطورية الروسية في أوروبا. وكان رد الحكومة بإطلاق النار على المحتشدين سبباً آخر لانتشارها وحصولها على تأييد من ما زال يراوده شك. وتم تشكيل أول مجلس لممثلي العمال في بطرسبرغ اسمه السوفييت (وتعني المجلس بالروسية) وكان يتضمن قيادات للبلشفيين والمنشفيين وهنا كانت بداية الدور الفعلي لهم في الثورة. وقام سوفييت بطرسبرغ بتنظيم الاضرابات والاحتجاجات ووقف دفع الضرائب وسحب الودائع البنكية.

ومع اقتراب نهاية أكتوبر عام 1905، كان قرابة مليوني عاملاً في الإمبراطورية في إضراب مفتوح وكادت خطوط القطار تنعدم تماماً في كافة أنحاء البلاد.

إضافة لذلك كانت الحركات القومية للأقليات البولندية والفنلندية وبقية الأقاليم في البلطيق في تنام مطّرد رداً على سياسة الروسنة. وكذلك كانت التجمعات الإسلامية التي بدأت تتكتل في عام 1905

<u>الحرب الروسية اليابانية 1904-1905:</u>

وفي تلك الأثناء كانت تجري أحداث الحرب الروسية اليابانية الفاشلة من وجهة نظر الروس وخسر فيها الروس عشرات آلاف الجنود التي سببت قلقاً وتوتراً داخل الجيش وكونت نظرة للرأي العام أن الحكومة غير قادرة على إدارة البلاد والدفاع عنها.

**أوج الموجة الثورية الأولى وبيان أكتوبر**

وفي محاولة لاسترضاء المتظاهرين والمعتصمين قام القيصر في فبراير 1905 بالإقرار على إنشاء مجلس تشريعي وطني سمي بمجلس الدوما، إلا أن صلاحياته كانت استشارية فقط. ولكن سرعان ما اكتشف الناس أن ذلك لم يكن إلا محاولة لإسكاتهم فحسب، فاشتدت وتيرة الثورة من جديد بشكل أكبر.

ومع اشتداد الثورة قام سيرجي ويت رئيس لجنة الوزراء آنذاك (أي بمثابة رئيس الوزراء) بإعداد "بيان تأكيد سلطة الدولة" أو ما عرف بـ "بيان أكتوبر" لصدوره في 30 أكتوبر. وبالرغم من اعتراض القيصر بداية على أية اصلاحات إلا أن ويت أقنع القيصر بأن الإصلاحات هي

[20] Salisbury, Harrison. Black Night White Snow. Da Capo Press. 1981. p. 117

[21] Palmer, Robert Roswell, Joel Colton, and Lloyd S. Kramer. A history of the modern world. Vol. 2. New York: McGraw-Hill, 1960, p. 715.

[22] Salisbury, 1981, 117.

الوسيلة الوحيدة لاحتواء الأزمة الخارجة عن السيطرة. واعتبر المؤرخون بيان أكتوبر أحد أهم محطات الثورة الروسية لما كان له من انعكاسات طويلة الأمد. وكانت أهم بنوده متعلقة بالحريات المدنية كما يلي[23]:

- أن يمنح السكان الأسس الجوهرية للحقوق المدنية بناء على مبادئ حرمة الفرد، وحرية الضمير والتعبير والتجمع.
- من دون تأخير لجدول الإنتخابات، أن يسمح لجميع الطبقات المحرومة من حق التصويت بأن تشارك في انتخابات مجلس الدوما.
- أن تؤسس قاعدة غير قابلة للإنتقاص بأن لا يطبق أي قانون من دون تأكيد مجلس الدوما.
- أن يمنح حق الإقتراع للذكور البالغين (وهذا هو النظام الإنتخابي الذي كان سائداً في العالم آنذاك).

وبالرغم من أن البيان أقر حقوقاً لم تمنح من قبل إلا أنه تغاضى عن طبيعة نظام الحكم.[24] وكانت نظرة الشعب ايجابية له فخرجت مظاهرات مؤيدة له في المدن الرئيسية

**الإنهيار والدموية**

وسرعان ما خمدت وتيرة الاحتجاجات والاعتصامات بعد الإعلان عن البيان الذي اعتبر نصراً للثورة.[25] إلا أنه في غضون شهر عادت وتيرة المظاهرات والإحتجاجات كالسابق مع أعمال عسكرية متفرقة من قادة عسكريين متقاعدين ضد الحكومة، ولكن ردة فعل النظام كانت أشد عنفاً وبطشاً من السابق. فمع اضطراب القيصر لخسائره المتتالية أمام الجيش الياباني قام بتفريغ غضبه على المحتجين في السابع من ديسيمبر حينما فتح النار عليهم لتحدث اشتباكات تلتها تعزيزات عسكرية من الجيش. وفي 18 ديسيمبر استسلم العمال بعد مقتل قرابة الألف منهم وتدمير أجزاء كبيرة من المدينة.

وحسب بعض التقديرات، بلغ عدد الذين تم إعدامهم حتى شهر ابريل من عام 1906 قرابة 14 ألف عامل، إضافة لـ 75 ألف آخرين ألقي القبض عليهم.[26] وعاد الحكم العسكري للبلاد وتم التضييق على الحريات السياسية والنشاط الحزبي.[27]

---

[23] بيان أكتوبر. بالإمكان الرجوع إليه على ويكيسورس. تم فتح الرابط آخر مرة في: 27 إبريل 2016:
https://en.wikisource.org/wiki/October_Manifesto

[24] Kropotkin, G.M (2008). "The Ruling Bureaucracy and the "New Order" of Russian Statehood After the Manifesto of 17 October 1905,". Russian Studies in History 46 (4): 7

[25] Eidelman, Tamara. "*The October Manifesto: Democracy Debuts in Russia*". Russian life 5 .2005،p. 21

[26] Aylor, BD. *Politics and the Russian army: civil-military relations, 1689–2000.* Cambridge University Press. 2003. p.69

[27] Fitzpatrick, Shelia. The Russian Revolution. Oxford: Oxford University Press. 1994. p. 33

تبعات الموجة الثورية الأولى

لم تنجح الموجة الثورية الأولى في تحقيق أهدافها الأساسية التي لم تكن واضحة تماماً لغياب القيادة الموحدة إلا أنها كانت تدور حول الإصلاحات السياسية والإجتماعية والإقتصادية. فالبرغم من أن القيصر قدّم بيان أكتوبر وتلاه الدستور إلا أن حالة الحريات السياسية لم تكن كالمأمول. وأظهرت الثورة أن ولاء الجيش للقيصر وأن اسقاطه صعب بالرغم من الإخفاق في الحرب مع اليابان.

إلا أن الثورة الأولى رغم ما قد يقال عن نجاحها أو فشلها، إلا أنها كانت السبب الأساسي وراء الثورة الكبرى عام 1917 والتي قلبت النظام السياسي والإجتماعي والإقتصادي في روسيا. وكانت النتائج الأساسية للثورة:

المكتسبات السياسية:

1. بيان أكتوبر

كان بيان أكتوبر الذي صدر بعد أن وصلت الثورة الشعبية أوجها أول المكتسبات الثورية في روسيا القيصرية إلا أنه كان فقط مناورة من القيصر لتخفيف وتيرة المعارضة. ولكن في نفس الوقت، كان البيان عبارة عن أول اعتراف رسمي بحقوق الشعب وبوجوب تحديد سلطات القيصر مما جعله محطة هامة في تاريخ روسيا وفي تاريخ الثورة الكبرى عام 1917. فقد مهد البيان لإعداد دستور للبلاد لأول مرة، ولتأسيس مجلس برلماني يشبه مجالس الملكيات الدستورية سمي بالدوما، وأدى للإعتراف بالحقوق السياسية والمدنية للشعب.

2. إنشاء مجلس الدوما

كانت إحدى أبرز بنود بيان أكتوبر إنشاء مجلس لنواب يختارهم الشعب. وسمي المجلس باسم الدوما ليكون المجلس الأدنى للبرلمان بينما يتكون المجلس الأعلى -أو مجلس الدولة- من نواب يختارهم القيصر. وكان 48% من نواب الدوما من ممثلي الفلاحين، بينما امتلك النواب قرابة 36% فقط من المقاعد مما أعطى الفلاحين يدى عليا في المجلس. وكان يتوجب من أجل تمرير أي قانون جديد أن يصادق عليه من مجسلي الدوما والدولة، ولكن القيصر استحوذ على بعض السلطات التي قوضت عمل المجلس مثل حق نقض أي قرار يصدر عنه (فيتو). واستحوذ كذلك على السلطة الكاملة على الجيش.

أما بالنسبة للإشتراكيين فقد قاطعوا أول انتخابات للدوما اعتراضاً على قوانين الإنتخاب وعلى عدم شرعيتها في ظل الاستبداد الحكومي. فكانت النتائج من مصلحة الديموقراطيين الدستوريين الذين كانوا مع القيصرية ولكن في ظل نظام ملكي دستوري.

3. الدستور الروسي عام 1906

تم تقديم تعديلات دستورية على الدستور السلطوي القديم الذي حكم القيصرية منذ عام 1831، وسميت تلك التعديلات بدستور عام 1906. وجاء هذا الدستور تتمة لبيان أكتوبر إلا أنه تجاهل أغلب الحقوق السياسية المذكورة فيه وحد من سلطات مجلس الدوما ليصبح نصف المجلس بالتعيين المباشر من القيصر بدلاً من الإنتخاب. وأكد الدستور على وحدة روسيا وعلى سيادة اللغة الروسية وعدم السماح باستخدام اي لغة أخرى من دون تشريع رسمي.

واستمر العمل بهذا الدستور حتى سقوط القيصرية في ثورة عام 1917.

الفوضى السياسية:

ومع تحقيق بعض المكتسبات إلا أنه كان هناك آثار سلبية للثورة التي لم يكتب لها النجاح. فقد عادت سياسة القيصر السلطوية لتحكم البلاد وانتشرت الفوضى السياسية والأمنية حتى قيام الثورة الكبرى.

1. انتشار الفوضى والإغتيالات السياسية

كانت السنين التي أعقبت انتهاء الثورة واستعادة القيصر لزمام الأمور في روسيا سنيناً سوداء على الصعيد الأمني والسياسي. وسبب احتيال القيصر على الثورة سخطاً عند المعارضة التي لم تكن معسكرة حتى ذلك الحين، مما أدى لزيادة شعبية أنصار الحل العسكري


@idraksy

في المعارضة وتحديداً من الإشتراكيين الثوريين. فقد قامت "منظمة القتال الإشتراكية الثورية" التابعة بشكل غير رسمي للحزب الشيوعي الثوري بتنفيذ حملة اغتيالات واسعة ضد سياسين وضباط شركة وموظفين حكوميين. فمن عام 1906 حتى عام 1909 قاموا بقتل أكثر من 7 آلاف شخص منهم 2,640 من السياسيين وقاموا بجرح أكثر من 8 آلالف. وقاموا بعمليات نهب عديدة موجهة ضد الدولة[28]

ومن أبرز السياسيين والعسكريين الذين اغتالتهم منظمة القتال في فترة ما قبل الثورة وما بعدها: وزير الداخلية ديميتري سيبياغين، وحاكم فينلاندا نيكولاي بوبريكوف، ووزير الداخلية فون بليهفي، والدوق سيرجي ألكساندروفيتش، ومستشار العدل إليل سوينينين، ووزير الحرب السابق فيتور ساخروف، وأدميرال أسطول بحر البلطيق شوخنين.

2. عودة سياسة الكبت

ومع شعور القيصر بأنه ثبت أركان عرشه عادت سياسة كبت المعارضة السياسية والنقابية وعادت سياسة الإعدامات التي ازدادت بشكل مطرد لتتجاوز الألف حالة في عام 1908 وكانوا جميعهم من المدنيين.[29] وفي عام 1906، تجاوز عدد المعتقلين السياسيين في روسيا القيصرية الـ22 ألفاً.[30]

[28] Galina Mikhailovna Ivanova, Carol Apollonio Flath and Donald J. Raleigh. Labour camp socialism: the Gulag in the Soviet totalitarian system. 2000, p.6

[29] تقرير عن حالات الإعدام بعد الثورة. يمكن الوصول إلى الرابط عبر:
http://dwardmac.pitzer.edu/ANARCHIST_ARCHIVES/kropotkin/terror/chapter3.html

[30] Robert Blobaum: Feliks Dzierzynsky and the SDKPiL: A study of the origins of Polish Communism. p.149

## المرحلة الثانية: الثورة العارمة وانتصار البلشفيين 1917-1918

من دون شـك، كانت ثورة عام 1905 هي العامل الجوهري في اندلاع ثورات ما بعد الحرب العالمية الثانية في روسـيا. فرغم فشـلها في تحقيق أهدافها -التي لم تكن واضحة تماماً لانعدام القيادة- إلا أنها كونت وعياً سـياسـياً وعوامل سـياسـية وإجتماعية أدت بمجملها لإندلاع ثورة فبراير 1917 والتي كانت لها توابعها.

ظروف ما قبل الثورة

كانت لثورة 1905 أثر هائل في تكوين البنية الفكرية والإجتماعية والسـياسـية في روسـيا لما كان لها من دومية هائلة ضـد مدنيين عزّل ولنكوث القيصـر عن وعوده الواحدة تلو الأخرى. فدموية الأحد الدامي مروراً بالإعدامات المنهجية والإقصـاء والقبضـة الحديدية أقنعت الجميع في روسيا أن النظام ينتمي للقيصر فحسب وأن القيصر يخدم نسله لا "رعاياه".

وكان لاندلاع الحرب العالمية الأولى أثر مباشـر على الأوضـاع السـياسـية والإقتصـادية والإجتماعية في أنحاء القيصـرية. وزادت الحرب من الحنق الموجه مباشرة للقيصر لا لنظامه فحسب. عدا عن الأزمة الإقتصادية الطاحنة التي عصفت بالبلاد إثر الحصار العثماني والخسائر العسكرية المتتالية.

- الظروف الإقتصادية والإجتماعية

كانت النظرة السـائدة لدى الفلاحين آنذاك أن الأرض ملك لمن يفلحها ويعتني بها. وسـاعد تثبيت هذه النظرة الانفتاح الذي شـهدته المناطق الريفية بعد الثورة الصناعية وتحسن المواصلات. وكان العمال كذلك غاضبين من السياسيات الحكومية التي أهملتهم واستغلتهم في فترة غياب حركة نقابية أو سياسية تدافع عنهم. فارتفعت ساعات العمل وانخفضت الأجور.

وسـبب التوجه الصـناعي للقيصـرية إلى اكتظاظ المدن بالسـكان والعمال مما أدى تدني أحوالهم. ففي الفترة بين 1890 إلى 1910 ارتفع عدد سكان سينت بطرسبيرغ من قرابة المليون إلى 1.9 مليون شخص، وكذلك الحال في موسكو. وقدر متوسط عدد قاطني البيت الواحد عام 1904 بـ16 شخصاً.

وأتت الحرب العالمية الأولى لتزيد الأوضـاع الإقتصـادية سـوءاً فقد أغلقت الإمبراطورية العثمانية مضـائقها التي كانت المنفذ التجاري البحري الوحيد لروسيا.[31]

- الظرف السياسي

كانت قطاعات واسعة من الشعب الروسية غير راضية عن أوتوقراطية نظام القيصر نيكولاس الثاني الذي كان يمارس سلطوية تقليدية صـارمة، فلم يكن مسـتعداً لتفويض أيٍ من سـلطاته. ولعل أبرز أسـباب اسـتبداده وعدم مراعاته لمطالب وحاجات شـعبه هي نظرته القدسية لنفسه ولنسبه، فقد كان يرى نفسه مفوضاً باسم الرب وأن ما يفعله كان بمباركة الرب. وكان يرى بأن الشعب الروسي كان مؤمناً به وموالياً له. وأن ما يحدث من احتجاجات هي من عمل المخربين والأشرار.[32]

وبالرغم من الكبت الحكومي ومن فشل ثورة 1905 إلا أن الرغبة الشعبية في المشاركة السياسية والإصلاح كانت جامحة، وكان الجميع بما فيهم الإشـتراكيون يرغبون في إقامة نظام ديموقراطي. وسـببت ثورة 1905 ودمويتها حالة من القطيعة أو فقدان الثقة بين النظام والشعب عموماً

- الحرب العالمية الأولى

[31] Wood, Alan (1993). The origins of the Russian Revolution, 1861-1917. London: Routledge, p. 24

[32] Andrew Verner. The Crisis of the Russian Autocracy: Nicholas II and the 1905 Revolution. Princeton. 1990.

مع اندلاع الحرب العالمية الأولى حاول النظام توحيد صف البلاد خلف القيصر الروسي ضد القيصر الألماني الذي كان يسعى للاستيلاء على الأراضي الروسية. فكانت نظرية العدو الخارجي هي أمل النظام في روسيا لحل مشكلة الشعب المتعض من المنظومة ككل. إلا أن خطته بائت بالفشل. فمشاعر الشعب الروسي الوطنية الرافضة للغزو الألماني لم تترجم كمشاعر تأييد أو ثقة تجاه القيصر.[33] [34]

ومما عزز ذلك كان الفشل المروّع للجيش الروسي في بدايات الحرب عندما خسر 30 ألف جندي إضافة لـــ90 ألف أسير في معركة تانينبيرغ ضد ألمانيا، مما اضطر القيصر ليتولى أركان الحرب مباشرة بنفسه عام 1915. وقام بتولية زوجته التي كانت لها علاقات مع مشعوذ سيئ الصيت في روسيا اسمه ريسبوتين، وكان له تأثير كبير عليها مما زاد من نقمة الشعب. وعزز الحصار العثماني من الأزمة الإقتصادية التي زادت أوضاع المواطنين سوءاً.

ولم تؤدي قيادة القيصر للجيش إلى تحسن مستواه فاستمرت الهزائم الثقيلة ليبلغ عدد من فقدتهم روسيا من الجنود حتى عام 1916 قرابة 5 مليون جندي ما بين قتيل وأسير ومفقود. ولم يكن ذلك مقتصراً على الرجال وإنما على العتاد كذلك، فقد أرسل القيصر الجنود من دون سلاح على أمل أن يستولوا على سلاح الأعداء أو أن يحمل من ينجوا سلاح من يسقط، مما عزز من سخط الجند على القيصر.

وعادت المظاهرات والإضرابات لتجتاح الشارع الروسي من جديد في عام 2015، وبدأت الأمور تخرج عن سيطرة النظام. وفي نوفمبر عام 1916 أصدر مجلس الدوما تحذيراً للقيصربأن كارثة سياسية ستحل بالبلاد إن لم يأسس نظاماً ملكيا دستورياً. ولكن القيصر كعادته تجاهل هذه المطالبات لينهار نظامه بعد أشهر قليلة من تحذير مجلس الدوما.

[33] Allan Wildman. *The End of the Russian Imperial Army*, vol. 1, Princeton. 1980, p. 76–80

[34] Hubertus Jahn, *Patriotic Culture in Russia During World War I*. Ithaca, 1995.

ثورة فبراير

وفي ظل هذه الأجواء اجتاحت سلسلة من الإعتصامات والاحتجاجات الضخمة شوارع العاصمة بتروغراد في مارس 2017 (فبراير حسب التقويم القديم). واستغل المتظاهرون يوم المرأة العالمي ليكون فرصة للحشد.[35] وطالبت المظاهرات بداية بالخبز والطعام إلا أنها تحولت لمظاهرات سياسية مع دخول الطلاب والمدرسين والأحزاب السياسية. فما كان من القيصر إلا أن أعد لارسال 180 ألفاً من جيشه المنهك من الحرب لطحن المتظاهرين.[36] إلا أن الجيش -الذي كان العنصر النسائي فيه كبيراً- بدأ في عصيان الأوامر.[37] وازدادت المظاهرات عددا وكماً لتبلغ مئات الآلاف وبدأت تطالب علناً بسقوط القيصر.

وبدأ المحتجون بالإستيلاء على المباني الرسمية والحكومية وتدمير تماثيل ورموز القيصر والاستيلاء على المدافع والاسلحة وتحرير السجناء، وفي 12 مارس كانت العاصمة تماماً بيد المحتجين الثائرين. فقام الضباط الموالون للقيصر بالإنسحاب. وكان مجمل القتلى في الأحداث حوالي 1300 متظاهر.

**تنازل القيصر عن السلطة**

قام ميخائيل رودزيانكو رئيس مجلس الدوما بإرسال رسالة إلى القيصر تحذره من خروج الأمور عن السيطرة، وكان نص الرسالة كافياً بتوضيح صدمة النظام من الثورة[38]:

> "الأوضاع خطرة. والعاصمة في حالة فوضى والحكومة مشلولة. تم تعطيل خدمة المواصلات العامة وخطوط إمداد المواد الغذائية والوقود بالكامل. والإحتقان العام في تنامٍ... يجب ألّا يتم التأجيل.أي تأجيل سيعادل الهلاك."

ولكن ردة فعل القيصر كانت مخيبة للآمال، ويبدو أنه تأثر بكلام زوجته التي كانت تعتبر أحداث بتروغراد مجرد ردة فعل مبالغ فيها. ففي الثاني عشر من مارس قال القيصر بأنه "مرة أخرى كتب لي هذا رودزيانكو السمين كلاماً فارغاً لا يستحق أن أرد عليه."[39]

<u>إعادة إنشاء "سوفييت بيتروغراد" وقيادة الثورة</u>

استمرت حالة التصعيد وزادت حالة العصيان في الجيش والحرس الإمبراطوري وفر كثير منهم وبعضهم إنضم للثوار. وفي هذه الأثناء حاول مجلس الدوما احتواء الأزمة عبر اقتراحهم إنشاء لجنة مؤقتة لاستعادة القانون والنظام العام، إلا أن الأحزاب الإشتراكية اجتمعت واتفقت على إعادة إحياء مجلس بيتروغراد الذي كان نشطاً أيام ثورة 1905 (كان اسمه سوفييت بطرسبيرغ إلا أن اسم العاصمة تغيير رسمياً إلى بيتروغراد للابتعاد عن الأسماء الألمانية) تحت اسم "سوفييت بيتروغراد". وفي اليوم التالي قامت الوحدات الثورية الناشئة حديثاً بمبايعة سوفييت بيتروغراد ليقود الثورة.[40] وكان تأسيس هذا المجلس بداية لصراع على السلطة بينه وبين "الحكومة المؤقتة" التي نتجت عن الدوما.

وبعد أن خرجت الأمور عن السيطرة، قامت حاشية القيصر بنصحه بالتخلي عن العرش. فقام بالتنازل عن عرشه في الخامس عشر من مارس 1917، وتخلى عن حق ابنه في ولايه العهد[41] وقام بترشيح أخيه الدوق ميخائيل ألكسندروفيتش ليخلفه في العرش، إلا أن الأخير أدرك بأن عقارب الساعة لن ترجع للوراء وأن عهد الحكم المطلق قد انتهى فرفض الترشيح في اليوم التالي.[42] وبعد ستة أيام تم جمع القيصر نيكولاس (أو نيكولاس رومانوف بعد تركه الحكم) بعائلته في قصر أليكساندر مع بعض من خدمه الموالين له. وظلوا تحت رقابة "الحكومة المؤقتة".

---

[35] Sukhanov, Nikolai Nikolaevich. *The Russian Revolution 1917: A Personal Record by NN Sukhanov*. Princeton University Press, 2014. 101-8

[36] When Women Set Russia Ablaze, Wed, 11-7-2007. Accessible at: http://www.fifthinternational.org/content/when-women-set-russia-ablaze

[37] Beckett, Ian FW. *The Great War: 1914-1918*. Routledge, 2014, p. 523.

[38] Browder, Robert Paul, and Aleksandr Fyodorovich Kerensky, eds. *The Russian Provisional Government, 1917: Documents*. Vol. 27. Stanford University Press, 1961, p. 40.

[39] Wade, Rex A. *The Russian Revolution, 1917*. Cambridge University Press, 2005, p 37.

[40] السابق، 40-43

[41] Backett, 2014, 523

[42] السابق

- صراع ما بين الثورتين: ثنائية السلطة (*dvoevlastie*) (مارس – يوليو 1917)

بعد أن تم التخلص من حكم القيصر وفتح الباب أمام الشعب لينشأ نظاماً جديداً وعقداً اجتماعيا جديداً، بدأت فترة قصير الأمد اتسمت بالصراع المحتدم بين القوة الثورية التي نظمت مظاهرات بتروغراد وتحدثت باسم العمّال وهي "سوفييت بتروغراد" وبين الحكومة المؤقتة التي تم تأسيسها للقيام بالأدوار الإنتقالية إلى حين تسليم السلطة لبرلمان منتخب.

وكانت الحكومة المؤقتة متفرعة عن مجلس الدوما الذي اقترح إنشاءها كبديل للمجلس الوزاري الذي أنشئه القيصر، ولتنظيم عملية انتخاب "المجلس التأسيس الروسي" المخول بكتابة دستور جديد للبلاد. وبينما كان سوفييت بتروغراد مكوناً بشكل أساسي من الإشتراكيين الثوريين والمنشفيين، كانت الحكومة المؤقتة في بادئ الأمر مشكلة بشكل أساسي من أعضاء الحزب الديموقراطي الدستوري (الديموقراطيون الدستوريون، أو الكاديت) ليبرالي التوجه، بقيادة الأمير "جورجي لفوف". إلا أنه بعد أن اجتاحت البلد مظاهرات ضد الحكومة المؤقتة انتقلت السلطة لحلف اشتراكي بقيادة ألكسندر كيرينسكي، في ابريل من نفس العام.

ورغم أن سوفييت بيتروغراد تكون أساساً من الاشتراكيين الثوريين إلا أن أعضاءه كانوا على قناعة أن روسيا ليست مستعدة للاشتراكية، وكانوا أيضا على قناعة أنهم لا يمثلون كافة طبقات الشعب وإنما العمّال فقط. لذلك كان جلّ همهم هو الضغط على الحكومة المؤقتة "البرجوازية" حسب زعمهم لتسريع عجلة التحول الديموقراطي وتطبيق الإصلاحات الديموقراطية التي كانت أهمها: استبدال النظام القيصري بالجمهوري، وضمان الحقوق المدنية، وإنشاء شرطة وجيش ديموقراطيان، وإلغاء التمييز الديني والعرقي، والتحضير لانتخابات الجمعية التأسيسية.[43]

ومن هنا بدأت علاقة معقدة بين السوفييت والحكومة. فرغم أن الحكومة تعهدت بالنظر في توصيات السوفييت إلا أنها كانت مصممة على منع أي تدخل في أعمالها بشكل يؤدي إلى حالة ثنائية للسلطة. ولكن ذلك كان ما حصل بالضبط بالرغم من أن الأمور كان تحت سيطرة كلهما، وكان بإمكانهما الاتفاق على صيغة ما.

ومع الاستمرار في هذه الصيغة الهجينة وغير المتناسقة نشئت حالة عصيان مدني في الشهور الأولى وتبعها الإعلان عن تأسيس "اللجنة التنفيذية لسوفييت (مجالس) عموم روسيا" لتكون موازية للحكومة المؤقتة. وبالرغم من إصرار الاشتراكيين الثوريين على عدم الانخراط في الحكومة التي اعتبروها برجوازية إلا أن الشاب الاشتراكي ألكسندر كيرينسكي وافق على الانضمام لها ليصبح له فيها دور محوري لاحقاً. ورغم مساعي كيرينسكي للإصلاح إلا أن تحديات ضخمة كانت أمامه تمثلت بـ: لجنة السوفييت التي عطلت عمله، والخسائر العسكرية الكبيرة في الحرب العالمية، والغضب المتزايد والإحباط بين الجنود بسبب الاستمرار في الحرب، إضافة للمطالب السياسية بإنهاءها، عدا عن العجز الغذائي وعدم قدرة الحكومة على توفير احتياجات الناس الأساسية.

ولكن الأزمة الحقيقية بالنسبة لحكومة كيرينسكي لم تكن في ذلك فحسب، وإنما في الحزب البلشفي بقيادة فلاديمير لينين الذي كان في المنفى في سويسرا حينها ولم يستطع العودة لظروف الحرب. وكانت ثورة فبراير قد أحيت آمال لينين في ثورة ماركسية لتأسيس نظام شيوعي ثوري. وقامت ألمانيا لاحقاً بتسهيل انتقاله لروسيا بهدف تغيير نظام الحكم وإنهاء الحرب معها. وفور وصول لينين لروسيا ازدادت شعبية البلشفيين، إلا أنهم لم يكونوا مستعدين لهذا الحجم من الدعم الذي كان نابعاً من السخط الكبير بين الجنود والعمال على الحكومة والسوفييت معاً. ولم يكن للبلشفيين مكان في مجلس السوفييت المعتدل. وكان البلشفيون غير راضين عن الحكومة المؤقتة لسياساتها المحافظة غير الثورية، ولا على السوفييت أيضاً لأنهم رأوها خاضعة للحكومة المؤقتة.

<u>أحداث أيام يوليو:</u>

وفي يوليو خرج عمال بتروغراد مع البحارة والجنود مطالبين بإسقاط الحكومة المؤقتة وتسليم كامل السلطات إلى السوفييت، إلا أن لينين تنصل من هذه المطالب التي سرعان ما خمدت.[44] ورغم فشلها إلا أنها أظهرت حجم الغضب الشعبي من استمرار الحرب الخاسرة، وأظهرت كذلك عدم استعداد لينين وحزبه لقيادة الثورة مما أفقدهم كثيراً من دعم العمال والجنود. وبعدها فر لينين إلى فنلندا تحت تهديد الاعتقال، وتم اعتقال تروتسكي وغيره من قيادات البلشفيين بالفعل.

[43] Sukhanov, 2014, 101-8

[44] Lenin, Vladimir Il'ich 1917. (ed. By Apresyan, Stephen). One of the Fundamental Questions of the Revolution, p. 370-377

وبالرغم من التراجع في الشعبية إلا أن البلشفيين ما زالوا في تقدم. ففي بداية ثورة فبراير لم يكد عدد البلشفيين يتجاوز 24 ألفاً بينما ارتفع ليصل قرابة 200 ألف عضو في سبتمبر 1917.[45]

أحداث أغسطس وانقلاب الموازين

في أغسطس تحرك الجنرال لافر كورنيلوف رئيس أركان القوات المسلحة بعد الثورة باتجاه العاصمة بناء على مذكرة خاطئة أن "بعض المتطرفين" قاموا بالسيطرة على الحكومة. وكانت نيته السيطرة على المدينة. إلا أن كيرينسكي رئيس الحكومة اضطر لطلب المعونة من الحزب البلشفي ومن سوفييت بتروغراد الذين طلبوا من "الحرس الأحمر" (لاحقاً أصبح الجيش الأحمر) بالتدخل لحماية الثورة. وفشل الجنرال كورنيلوف فشلاً ذريعاً بسبب جهود البلشفيين في قطع الطرق على قواته عبر نفوذهم بين عمال التيليغرام والسكك الحديدية. وبعد فشله تم اقالة الجنرال وازدادت شعبية البلشفيين لدورهم البارز.

وفي مطلع سبتمبر تم إخراج البلشفيين من السجن وتولى تروتسكي رئاسة سوفييت بتروغراد. وفي تلك الأثناء كانت مشاعر الاستياء ضد الحكومة المؤقتة في تصاعد وكذا ضد الأحزاب السياسية كالإشتراكيين الثوريين والمنشفيين لأنهم فضلوا فكرة الوحدة الوطنية على إنصاف الفقراء والعمال. وكانت هذه فرصة ذهبية للبلشفيين الذين كانوا أفضل القوى السياسية تنظيماً.

وبينما كان حزبه في أوجه في روسيا، كان لينين في فنلندا يضع النقاط على الحروف الأخيرة في كتابه الشهير "الدولة والثورة" الذي أسس فيه لفكرته الأساسية: "ديكتاتورية البروليتاريا". وفي أكتوبر عاد لينين إلى روسيا ليستأنف قيادته للحزب ويقتنص الفرصة التاريخية التي كان ينتظرها لتأسيس نظام جديد كان يُنَظّر له منذ سنين. فبعد أن أدرك قوة وشعبية الحزب البلشفي بدأ يدعوا لإسقاط حكومة كيرينسكي فوراً وبشكل متزامن في المدينتين الكبريين بتروغراد وموسكو.[46] وبالفعل، في 23 أكتوبر 1917 أصدرت اللجنة المركزية في الحزب البلشفي قراراً بحلّ الحكومة المؤقتة لصالح سوفييت بتروغراد الذي أصبح تحت سيطرتهم بعد استلام تروتسكي لرئاسته.

[45] Cohen, Stephen F. *Bukharin and the bolshevik revolution: a political biography, 1888-1938*. Oxford University Press on Demand, 1980, p. 46

[46] Lenin, Vladimir. *The Bolsheviks Must Assume Power*. 1917 (from the Collected Works of Lenin: Volume 26. Progress Publishers: Moscow. 1972), p. 46

ثورة أكتوبر

بعد استصدار قرار بحل الحكومة المؤقتة قام البلشفيون بتأسيس اللجنة الثورية العسكرية داخل سوفييت بتروغراد بزعامة تروتسكي وبدأت تخطط سراً وبشكل منهجي للإستيلاء على أهم المناطق الحيوية والإستراتيجية في المدينة إلا أن بعض التسريبات وصلت لكيرينسكي والإعلام. وكان عماد هذه اللجنة العمال والجنود والبحارة المسلحون[47]

وفي السابع من نوفمبر (25 فبراير حسب التأريخ المعمول به آنذاك) قاد البلشفيون قواتهم في بتروغراد (حالياً بطرسبيرغ) وتحركوا ضد حكومة كيرينسكي. وصادف هذا التحرك وصول أسطول للقوات البحرية الموالية للبلشفيين المكونة من خمس مدمرات وطواقمها لميناء بتروغراد. وأعلنوا بعدها البيعة للثورة البلشفية. وفي صباح اليوم التالي قامت قوات "الحرس الأحمر"[48] التابع لسوفييت بتروغراد بشن هجمات للإستيلاء على على جميع المناطق الحيوية في العاصمة وكافة المقرات الحكومية ونقاط الإتصال، عدا عن طرق السكك الحديدية. فما كان من القوات التابعة للحكومة المؤقتة إلا أن انضمت لثورة البلشفيين ضد الحكومة المؤقتة.[49]

وفي هذه الأثناء وجد كيرينسكي نفسه في موقف لا يحسد عليه، فالمدينة تحت سيطرة الحرس الأحمر وخطوط الإتصال والمواصلات معطلة بحيث لا يستطيع الإستنجاد بأنصاره في الجيش. فما كان منه في النهاية إلا أن استقل سيارة من السفارة الامريكية واتجه خارج بتروغراد ليقابل من والاه من العسكر.[50]

واستغل لينين هذه الفرصة ليعلن "لجميع مواطني روسيا" بأن اللجنة الثورية العسكرية أسقطت الحكومة المؤقتة. وكان هدفه وضع أعضاء الكونغرس السوفييتي تحت الأمر الواقع ليتجنب نقاشات طويلة حول مغزى أو شرعية الإستيلاء على السلطة[51] وبعدها قام الحرس الأحمر بالإستيلاء على قصر الشتاء الذي كان يقيم به القيصر ومن بعده كيرينسكي.[52]

---

[47] Suny, Ronald. *The Soviet Experiment.* Oxford University Press. 2011, p. 63–67.

[48] كان الإسم الأول للقوات التابعة لسوفييت بتروغراد المكونة من العمال والبحارة والجنود هو الحرس الأحمر، ولكن تم لاحقاً تشكيل الجيش الأحمر وإدماج المكونات الرئيسية للحرس الأحمر فيه.

[49] Suny, 2011, 63-67

[50] Rabinowitch, Alexander. *The Bolsheviks Come to Power: The Revolution of 1917 in Petrograd.* Pluto Press. 2004, p. 273–305.

[51] السابق

[52] السابق

ما بعد إسقاط الحكومة

كان برلمان السوفييت يتكون 670 عضواً؛ 300 منهم من البلشفيين وقرابة المئة من الإشراكيين الثوريين الذين وقفوا ضد حكومة كيرينسكي.[53] وبعد الاستيلاء على قصر الشتاء قام برلمان السوفييت بتبني مرسوم يقضي بانتقال السلطة إلى "سوفييت ممثلي العمّال والجنود والفلاحين" وبالتالي الإقرار الرسمي لنتائج الثورة.

إلا أن الأمور لم تكن بتلك البساطة، فقد رفض عدد كبير من الأعضاء الإشتراكيين الثوريين والمنشفيين ما قام به البلشفيون هو استيلاء غير قانون علي السلطة، وانسحبوا من اجتماع البرلمان قبل اقرار المرسوم.[54]

وفي اليوم التالي، الثامن من نوفمبر 1917 قام البرلمان السوفييتي بانتخاب "مجلس مفوضي الشعب" (السوفناركوم) وانتخب لينين زعيماً له ليكون المكون الأساس في إنشاء الحكومة السوفييتية. وكان هذا المجلس مؤقتاً كذلك.

وفي 9 نوفمبر قام بعض المنشفيين بالإستيلاء على السلطة في جورجيا واعلانها جمهورية مستقلة، وبدأ تظهر معارضة واضحة للبلشفيين. وبدأت منشورات توزع ضد البلشفيين في العاشر من نوفمبر[55] وفي اليوم التالي قام بعض المسلحين الموالين لكيرينسكي بدخول قرية تابعة لبتروغراد وقتل بعض المحتجين مما أثر على شعبيته سلباً، ليشتبكوا مع الحرس الأحمر ويخرجوا من المدينة.

وفي موسكو استمرت الإشتباكات قرابة الأسبوع لتنتهي بانتصار البلشفيين واستيلائهم على العاصمة. وسقت في الإشتباكات قرابة 700 من الطرفين. وقام البلشفيون بدعوة جميع القوى المعادية لهم بالإنضمام للحكومة السوفييتية مما زاد من شعبيتهم. وسرعان ما توسعت سيطرة البلشفيين في المناطقة ذات العرق الروسي إلا أنها واجعت بعض الصعوبات في المناطق المختلفة عرقياً والتي حاول بعضها الإستقلال أو الحصول على حكم ذاتي.

وبعدها بشهور قامت القوى المناوئة للبلشفيين بالتحالف والعمل على إسقاط الحكومة البلشفية لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ الثورة؛ وهي الحرب الأهلية الروسية التي عرفت بدمويتها الشديدة والتي سماها البعض بمرحلة "الرعب الأحمر" تشبهاً بعهد الرعب الذي شهدته الثورة الفرنسية سابقاً تحت حكم روسبير. وقد سبق لتروتسكي تشبيه لينين بماكسميليان روسبير.[56]

---

[53] Service, Robert (1998). A history of twentieth-century Russia. Cambridge, Massachusetts: Harvard University Press.

[54] Reed, John. *Ten days that shook the world*. Vol. 215. Penguin, 1977.

[55] السابق

[56] Pipes, Richard. *A concise history of the Russian revolution*. Vintage, 2011

**المرحلة الثالثة: الحرب الأهلية 1918-1923**

لقد كانت خطة البلشفيين للاستيلاء على السلطة ذكية ومدروسة فعلاً. فلم يكد ينتهي الأسبوع الثاني للثورة حتى استلموا زمام الأمر في أهم مدينتين في روسيا؛ بتروغراد وموسكو. إلا انه رغم ذكائهم وحسن تخطيطهم للثورة إلا أنهم لم ينجوا من عواقب الأمر. فقد قامت قوى مضادة للبلشفيين بتنظيم أنفسها بعد شهور قليلة ليبدأوا حربهم ضد لينين وحزبه لتدخل البلاد في أتون حرب أهلية طاحنة أودت بحياة مئات الآلاف -والبعض قدرها بالملايين. وبلغت الحرب مستوى هائلاً من التعقيد بعد تدخل عدد كبير من القوى الداخلية والخارجية الدولية للإطاحة بالحكومة الجديدة.

ورغم أن الكثير يرى أن الحرب الأهلية كانت أمراً محتوماً إلا أن البعض عزاها مباشرة إلى قيام البلشفيين بحل الجمعية التأسيسية في السادس من يناير 1918. حيث سببت غضباً لدى العديد من الأطراف التي حاولت الاحتجاج إلا أن الحكومة الجديدة ردت بسياسة القبضة الحديدية فكانت بداية الحرب الأهلية الروسية.

تشكيل الجيوش:

في يناير عام 1918، قام ليون تروتسكي القائد العام للحرس الأحمر بإعادة تنظيمه وتأسيس "جيش العمال والفلاحين الأحمر" أو ما عرف اختصاراً بالجيش الأحمر، ليكون القوة العسكرية النظامية التابعة للدولة. ولكي يتجاوز مشكلة نقص الجنود اعتمد تروتسكي سياسة التجنيد الإجباري للجيش من المناطق الريفية. وكان مصير من يعترض منهم السجن أو الإعدام الميداني مما أرغم الفلاحين على الطاعة,[57] [58] وهذا ما كان معتمداً من قبل الجيش الأبيض[59] واعتمد الجيش الأحمر في بداياته على الخبراء العسكريين الذين كانوا في الجيش القيصري سابقاً، ومع بداية التأسيس كان عدد هؤلاء يقارب ثلاثة أرباع الضباط.[60]

وفي تلك الأثناء بدأت تحركات من قوى مضادة للبلشفيين بالتكتل. واستفادت هذه القوى من معاهدة بريست-ليتوفسك التي أنهت تدخل روسيا في الحرب. فقام بعد ثورة البلشفيين بقليل تحالف فضفاض من قوى كان جامعها الوحيد هو الرغبة في إسقاط الحكم البلشفي. فتكون الحلف من مزيج غير متجانس من ملاكٍ للأراضي ومواطني الطبقة الثانية وجمهوريين ومحافظين ومناصرين للملكية وليبراليين وضباط من الجيش القيصري واشتراكيين مناهضين للينين وحزبه وديموقراطيين معارضين لشيوعية البلشفيين. فكان هذا الخليط عبارة عما أصبح يعرف بالحركة البيضاء. وبدعم من دول أجنبية رافضة لحكم البلشفيين قام هؤلاء بتشكيل ما يعرف بالجيش الأبيض الذي خاض الحرب الأهلية الروسية ضد البلشفيين وجيشهم الأحمر.

وفي نفس الفترة كذلك، قامت حركة قومية أوكرانية بتشكيل ما عرف بالجيش الأخضر. وقامت مجموعة سياسية أخرى بتشكيل الجيش الأسود في أوكرانيا كذلك.

وقامت القوى الغربية عموماً والغرب أوروبية تحديداً بدعم الجيش الأبيض عسكرياً ومادياً ولوجستياً للقضاء على البلشفيين. فقد كانوا يرون في الحكم البلشفي خطراً لعدة اعتبارات: أولها التحالف الروسي الألماني المتوقع، وثانيها تهديد البلشفيين بعدم سداد الدين الخارجي الهائل الذي ورثوه عن روسيا القيصرية، وأخيراً خوفهم من انتشاء الأفكار الشيوعية الثورية إلى الدول الصناعية التي تهمش الفقراء. وقد قال وينستون تشيرشل يوماً بأن البلشفية يجب أن "توئد في مهدها" وكانت حجة فرنسا وبريطانيا للتدخل هي أنهما دعمتا روسيا القيصرية بالسلاح والعتاد أثناء الحرب العالمية وعندما تغير النظام فإنهم يخشون أن يقع هذا السلاح بيد الألمان. ورغم الدعم الهائل للجيش الأبيض إلا أنه كان مكروها داخلياً ولم يحظ بشعبية تذكر على خلاف الجيش الأحمر الذي تمتع بشعبية واسعة.

---

[57] وصل نسبة الجنود والضباط من الفلاحين عام 1920 حوالي 77% من الجيش الأحمر بسبب سياسة التجنيد الإجباري.

[58] Read, Christopher. *From Tsar to Soviets,* Oxford University Press. 1996, p. 237

[59] Williams, Beryl. *The Russian Revolution 1917–1921.* Blackwell Publishing Ltd. 1987

[60] السابق

مراحل الحرب الأهلية:

قام بعض المؤرخين بتقسيم الحرب الأهلية الروسية إلى ثلاث مراحل بداية باسقاط الحكومة المؤقتة وصولاً إلى القضاء على الجيش الأبيض وانتهاء الحرب الأهلية:

المرحلة الأولى: بداية التكتل والقتال (أكتوبر 1917-نوفمبر 1918): وكانت هذه المرحلة هي بداية تشكيل الجيوش وتنظيمها وتوسعها تدريجياً. واتصفت بتدخل القوى الأجنبية الأوربية لصالح الجيش الأبيض إلا أنها انسحبت نسبياً مع انتهاء الحرب العالمية في نوفمبر 1918.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة الحروب الكبرى بين الجيشين الرئيسيين الأحمر والأبيض (نوفمبر 1918-مارس 1920) وشهدت هذه المرحلة أبرز المعارك بين الجيشين، وشهدت تقدم الجيش الأحمر ليحتل على الجزء الأكبر من البلاد. وانخفض في هذه المرحلة الدعم الأجنبي للجيش الأبيض لانتهاء الحرب العالمية.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة القتال على أطراف البلاد (مارس 1920- أكتوبر 1922) وشهدت هذه المرحلة صراعاً بين الجيشين على أطراف البلاد بعد أن بسط البلشفيون سيطرتهم على القلب الروسي. وانتهت بتغلب البلشفيين وتثبيت أركان نظامهم الشيوعي.

وفي أثناء الحرب الأهلية، اندلعت عدة ثورات أو حركات تمرد محدودة بسبب سوء الأوضاع الإقتصادية، كان أبرزها عصيان الكرونستاد الذي قادة بعض ضباط البحرية التابعون للجيش الأحمر في البلطيق. إلا ان الحكومة رفضت العصيان واعتبرت مطالبهم معادية للقيم الإشتراكية الثورية وقامت بإخمادها بالقوة.

الإرهاب الأحمر والأبيض:

هي عبارة عن حملة إعدام وقمع ممنهجة شنها البلاشفة ضد أعدائهم عند بداية الحرب الأهلية. وفي سبتمبر 1918 قام ياكوف سفيردولوف بالإعلان رسميا عن هذه المرحلة، وانتهت رسمياً في أكتوبر من نفس العام. إلا أن العديد من المؤرخين استخدموا المصطلح ليصف إرهاب الحكومة البلشفية طيلة فترة الحرب الأهلية.[61] وقدر عدد ضحاياها من 50 ألفاً إلى 140 ألف.[62] ووصلت بعض التقديرات إلى قرابة المليون ونصف المليون[63]

وقام بعض المؤرخون باستخدام مصطلح الإرهاب الأبيض على السلوك الذي قام به الجيش الأبيض أثناء الحرب الأهلية قبل هزيمته.

---

[61] Melgunov, Sergei Petrovich (1924). *The Red Terror in Russia*. Hyperion Pr (published 1975); see also the Record of the Red Terror by S. Melgunoff. Accessible at: http://www.paulbogdanor.com/left/soviet/redterror.pdf

[62] Pipes

[63] Szaszdi, Lajos. *Russian civil-military relations and the origins of the second Chechen war*. University Press of America. 2008, p. 152

إعدام القيصر:

بعد أن تم وضع القيصر وعائلته تحت الإقامة الجبرية في مارس 1917، قام رئيس الحكومة المؤقتة كيرينسكي بإبعادهم إلى قصر ألكسندر جنوبي العاصمة لحمايتهم من الفوضى الامنية. ومع وصول البلاشفة للحكم ازداد الضغط لمحاكمة القيصر وإعدامه. ومع توسع الجيش الأبيض باتجاه العاصمة ومكان سجن آل رومانوف، تم أخذ القيصر السابق نيكولاس وزوجته ألكسندرا وأبناءهم وطبيبهم وبعض خدمهم إلى مكان أسفل بيت الإقامة الجبرية في 16 يوليو 1918 حيث تم إطلاق النار عليهم وقتلهم جميعاً.

الضحايا:

كانت الحرب الأهلية الروسية من أبشع الحروب الأهلية. فقد سقط ضحيتها مئات الآلاف من القتلى من الطرفين. فقدر عدد القتلى في الحرب الأهلية، إضافة للحرب السوفييتية مع بولندا حوالي 300 ألف. وقدر عدد القتلى من الأوبئة والأمراض قرابة 450 ألفاً.[64]

وقدر عدد القتلى والمهجرين من القوزاق -البالغ عددهم 3 ملايين- قرابة 300-500 ألف[65]. وقتل قرابة 100 ألف يهودي في أوكرانيا، أغلبهم بيد الجيش الأبيض.[66] عدا عن المجاعات التي اجتاحت البلاد -في المناطق الريفية على وجه الخصوص- بسبب الحرب وتردي الأوضاع الإقتصادية وحصدت عشرات آلاف الأرواح.

[64] Urlanis, Boris. *Wars and population*. 2011

[65] تقرير عن الحرب في تلك المنطقة. بالإمكان الوصول إليه عبر: http://h2g2.com/edited_entry/A4241062

[66] Kenez, Peter; Pipe, Richard; Pipes, Richard (1991). "The Prosecution of Soviet History: A Critique of Richard Pipes' The Russian Revolution". *Russian Review* **50** (3): 345–51.

آثار وميراث الثورة الروسية

لقد كانت الأحداث التي سميت بمجملها الثورة الروسية مرحلة محورية في تاريخ القرن العشرين لما تبعها من تغييرات على الصعيد الجيو-سياسي والإقتصادي والفكري في أوروبا والعالم. ولربما كانت ثورة البلاشفة بنفس أهمية الحرب الحرب العالمية لما أحدثته من تغييرات عضوية ومحورية في السياسة الدولية لغاية انهيار الإتحاد السوفييتي في تسعينيات القرن الماضي.

وكانت آثار الثورة الروسية متعددة الجوانب والمظاهر، فلم تقتصر آثارها على الجانب السياسي والإجتماعي فحسب، بل كان الأثر الفكري جوهرياً فيها كذلك.

كان من أبرز آثار الثورة الروسية هو سقوط المنظومة القيصرية إلى الأبد وتأسيس نظام جديد لم يعهده العالم من قبل؛ وهو نظام إتحاد المجالس (السوفييت) الذي يقوم على مبدأ ديكتاتورية البروليتاريا التي أسس لها لينين. فأصبح النظام الجديد متمركزاً حول العمال والفلاحين كظاهرة جديدة في التاريخ. ولم يقتصر الأثر السياسي على النظام السياسي الروسي، بل على المنظومة الدولية كاملة. فقد أسست الثورة لمنظومة ثورية عمّالية ترى نفسها مسؤولة عن تصدير الثورة الإشتراكية للخارج. فقد سعى لينين مااشرة إلى تصدير الثورة إلى أوروبا وأنحاء مختلفة من العالم. وبعد الحرب العالمية الثانية، انقسم العالم لأول مرة في التاريخ إلى قطبين، تقود روسيا السوفييتية أحدهم في مواجهة الولايات المتحدة على الطرف الآخر. فأصبحت السياسة الدولية قائمة على الفعل ورد الفعل الناتج من هذين القطبين.

وكذلك كان النظام الإقتصادي حيث انتقل من تمحوره حول البرجوازيين ضمن النظام الرأسمالي ليصبح شيوعياً يقوم على فكرة سيطرة العمّال على الدولة، وسيطرة الدولة على مصادر الدخل والإنتاج وتوزيعها حسب ما تراه مناسباً في إطار النظرية الإقتصادية الجديدة. وكذلك سببت الثورة نهضة اقتصادية كبيرة نتيجة اتجاهها نحو التصنيع بدلاً من الزراعة. وقامت الحكومة فوراً بعد الثورة بتأميم البنوك والمنشئات الوطنية، والتنصل من الدين الخارجي.

وكان من أبرز آثار الثورة كذلك الأثر الفكري. فكما كان كارل ماركس صاحب أول نظرية سياسية تضع العمال في محورها، فكذلك كانت الثورة البلشفية (التي تبنت رسمياً أفكار ماركس مع شيء من التعديل) صاحبة أو محاولة لتطبيق فكرة تمحور الدولة حول العمال والطبقة المهمشة عموماً. فظهرت منظومة فكرية وحضارية موازية ومنافسة للمنظومات السائدة آنذاك. فقد كان الفكر الشيوعي مناهضاً للرأسمالية الغربية، وللإسلامية المشرقية -المتراجعة آنذاك. وكان يرى نفسه بديلاً عالمياً لكل ذلك، وكان مؤمناً بحتمية سيادته على البشرية جمعاء في يوم ما -كما هو حال سائر الأيديولوجيات المعولمة.

أسباب انتصار البلاشفة

لقد كان موضوع انتصار البلاشفة محط أنظار واستفسار العديد من الخبراء والدول كذلك لما له من تعقيد بالغ. فروسيا كانت تغوص في الفوضى السياسية قبل الثورة وبعد أن استلموا الحكم وقبل أن يتفرغوا لتأسيس نظامهم أعلنت حرباً عليهم بدعم من القوى العظمى آنذاك. ومع كل هذه انتصر البلشفيون وأسسوا نظامهم الذي تحول إلى قوة عظمى في غضون سنوات.

وبالإمكان تقسيم أسباب نجاح البلاشفة إلى أسباب ذاتية وموضوعية وخارجية.

1. كان البلشفيون على درجة عالية من الوضوح والتجانس في الرؤية. فقد كان جميعهم مؤمنين بأفكار ماركس ولينين الداعية لتمكين العمال، وكانوا يؤمنون بحتمية الحل الثوري، عدا عن ايمانهم برسالية مطلبهم. بينما كان أعداؤهم من الحركة البيضاء عبارة عن مزيج غير متجانس وغير متفق على رؤية واحدة ولم يجمعهم إلا الرغبة بإسقاط البلاشفة.
2. لقد كانت النظرية الشيوعية -المستقاة من فكر ماركس- التي طرحها لينين لجماعته وشعبه نظرية متماسكة نظرياً ومستعطفة لمشاعر الشعب المتلهف للخروج من الحالة التي كان فيها. وكانت فكرة ديكتاتورية البروليتاريا التي طرحها لينين جذابة وبراقة للعمال والطبقات المهمشة في المجتمع، مما جعل قدرة الحزب على التجنيد عالية. عدا عن أنها وفرت للبلشفين عدوا داخلياً احتاجوه لتوحيد صفوفهم وهو الطبقة البرجوازية.
3. كان الفكر البلشفي عبارة عن خلاصة من التجارب الإشتراكية الفاشلة التي سبقته. فقد كان لفشل الموجة الثورية الأولى عام 1905 فضل على البلشفيين لما كان لها من أثر في انضاج فكرهم السياسي وتكتيكاتهم الميدانية. فقد كانت فكرة تمكين السوفييت مباشرة -على سبيل المثال- إحدى الدروس التي تعلموها من الثورة الأولى التي عانت من الفراغ القيادي للعمال الثائرين.
4. حظي البلشفيون بدعم هائل من الشعب، وتحديداً الطبقات المهمشة مثل العمّال والفلاحين. وكان كثير منهم مستعد للتضحية لتحقيق ما وعدهم به لينين وحزبه. بينما كانت الحركة البيضاء مكروهة من قطاعات واسعة من الشعب. واعتبرهم العديد امتداداً للنظام القيصري المغضوب عليه.
5. كان لحسن تنظيم البلشفيين وقوة تأثيرهم على العمّال -رغم قلة عددهم في البداية مقارنة بخصومهم- أثر في انضمام كتائب من الجيش الروسي إليهم. فقد كان حسن تصرفهم وقطعهم لطرق المواصلات وخطوط الإتصال أيام محاولة كورينوف دخول العاصمة أثر في إثبات قدرتهم على التحرك والتنظيم.
6. كان للسياسة الحاسمة للينين في التعامل مع خصومه ومعارضيه أثر في ضبط الحزب وضبط البلاد والقضاء على أي فرصة لثورة مضادة. فقد كانت النظرية التي قدمها الحزب راديكالية بمجملها -رغم اعجاب بعض الطبقات بها- مما استدعى سلوكاً راديكالياً في تطبيقها. فالمجتمع الروسي كان يعيش وفق منظومة رأس مالية، والتفكير بطرح يغير هذه المنظومة لن يلقى ترحاباً من الطبقات المنتفعة من النظام مما سيعني تكتلها في ثورة مضادة لإسقاط المنظومة الجديدة.

المراجع


1. Pipes, Richard. *A concise history of the Russian revolution*. Vintage, 2011.
2. Figes, Orlando, and Boris I. Kolonitskii. *Interpreting the Russian Revolution: the language and symbols of 1917*. Yale University Press, 1999
3. Carmichael, Joel. *A short history of the Russian revolution*. New York, Basic Books, 1964
4. Chubarov, Alexander. *Russia's bitter path to modernity: a history of the Soviet and post-Soviet eras*. A&C Black, 2001

5. Avrich, Paul, and Petr Alekseevich Kropotkin. *The anarchists in the Russian revolution*. Cornell University Press, 1973
6. Nettl, John Peter. *The Soviet Achievement*. Harcourt, Brace & World, 1967
7. Pipes, Richard. *The Formation of the Soviet Union: communism and nationalism, 1917-1923*. Vol. 13. Harvard University Press, 1997
8. Lenin, Vladimir Il'ich. *" Left-wing" Communism: An Infantile Disorder*. Resistance Books, 1999. المصدر على الشبكة العنكبوتية:https://www.marxists.org/archive/lenin/works/1920/lwc/index.htm
9. Harcave, Sidney. *The Russian Revolution*. London: Collier Books. 1970.
10. Defronzo, James. Revolutions and Revolutionary Moments. New York: Westview Press. 2011
11. Skocpol, Theda. States and Social Revolutions. Cambridge: Cambridge University Press. 1979.
12. Weeks, Theodore (December 2004). "Russification: Word and Practice 1863-1914". *Proceedings of the American Philosophical Society* 148.
13. Staliūnas, Darius (2007). "Between Russification and Divide and Rule: Russian Nationality Policy in the Western Borderlands in Mid-19th Century". *Jahrbücher für Geschichte Osteuropas, Neue Folge*. **55**
14. Perrie, Maureen (November 1972). "The Russian Peasant Movement of 1905-1907: Its Social Composition and Revolutionary Significance". Past and Present 57
15. Morrissey, Susan (1998). Heralds of Revolution: Russian Students and the Mythologies of Radicalism. Oxford: Oxford University Press.
16. Abraham Ascher, The Revolution of 1905: A Short History.
17. Salisbury, Harrison. Black Night White Snow. Da Capo Press. 1981.
18. Palmer, Robert Roswell, Joel Colton, and Lloyd S. Kramer. *A history of the modern world*. Vol. 2. New York: McGraw-Hill, 1995
19. Kropotkin, G.M (2008). "The Ruling Bureaucracy and the "New Order" of Russian Statehood After the Manifesto of 17 October 1905,". *Russian Studies in History* 46 (4).
20. Eidelman, Tamara. "*The October Manifesto: Democracy Debuts in Russia*". Russian life 5 .2005.p. 21
21. Aylor, BD. *Politics and the Russian army: civil-military relations, 1689–2000*. Cambridge University Press. 2003.
22. Fitzpatrick, Shelia. The Russian Revolution. Oxford: Oxford University Press. 1994.
23. Galina Mikhailovna Ivanova, Carol Apollonio Flath and Donald J. Raleigh. *Labour camp socialism: the Gulag in the Soviet totalitarian system*. 2000.
24. Robert Blobaum: *Feliks Dzierzynsky and the SDKPiL: A study of the origins of Polish Communism*.
25. Wood, Alan (1993). The origins of the Russian Revolution, 1861-1917. London: Routledge.
26. Andrew Verner. *The Crisis of the Russian Autocracy: Nicholas II and the 1905 Revolution*. Princeton. 1990.
27. Allan Wildman. *The End of the Russian Imperial Army*, vol. 1, Princeton. 1980,.
28. Hubertus Jahn, *Patriotic Culture in Russia During World War I*. Ithaca, 1995.
29. Sukhanov, Nikolai Nikolaevich. *The Russian Revolution 1917: A Personal Record by NN Sukhanov*. Princeton University Press, 2014.
30. Beckett, Ian FW. *The Great War: 1914-1918*. Routledge, 2014
31. Browder, Robert Paul, and Aleksandr Fyodorovich Kerensky, eds. *The Russian Provisional Government, 1917: Documents*. Vol. 27. Stanford University Press, 1961.
32. Wade, Rex A. *The Russian Revolution, 1917*. Cambridge University Press, 2005

33. Lenin, Vladimir Il'ich 1917. (ed. By Apresyan, Stephen). On of the Fundamental Questions of the Revolution.
34. Cohen, Stephen F. *Bukharin and the bolshevik revolution: a political biography, 1888-1938*. Oxford University Press on Demand, 1980
35. Lenin, Vladimir. *The Bolsheviks Must Assume Power*. 1917 (from the Collected Works of Lenin: Volume 26. Progress Publishers: Moscow. 1972)
36. Suny, Ronald. *The Soviet Experiment*. Oxford University Press. 2011
37. Rabinowitch, Alexander. *The Bolsheviks Come to Power: The Revolution of 1917 in Petrograd*. Pluto Press. 2004
38. Service, Robert (1998). A history of twentieth-century Russia. Cambridge, Massachusetts: Harvard University Press.
39. Reed, John. *Ten days that shook the world*. Vol. 215. Penguin, 1977.
40. Read, Christopher. *From Tsar to Soviets*, Oxford University Press. 1996
41. Williams, Beryl. *The Russian Revolution 1917–1921*. Blackwell Publishing Ltd. 1987
42. Melgunov, Sergei Petrovich *(*1924*). The Red Terror in Russia*. Hyperion Pr (published 1975);
43. Szaszdi, Lajos. *Russian civil-military relations and the origins of the second Chechen war*. University Press of America. 2008
44. Urlanis, Boris. *Wars and population*. 2011
45. Kenez, Peter; Pipe, Richard; Pipes, Richard (1991). "The Prosecution of Soviet History: A Critique of Richard Pipes' The Russian Revolution". *Russian Review* **50** (3)
46. Melgunoff, S. *Record of the Red Terror*. Accessible at: http://www.paulbogdanor.com/left/soviet/redterror.pdf
47. When Women Set Russia Ablaze, Wed, 11-7-2007. Accessible at: http://www.fifthinternational.org/content/when-women-set-russia-ablaze

48. تقرير عن حالات الإعدام بعد الثورة.: http://dwardmac.pitzer.edu/ANARCHIST_ARCHIVES/kropotkin/terror/chapter3.html

49. بيان أكتوبر. بالإمكان الرجوع إليه على ويكيسورس. تم فتح الرابط آخر مرة في: 27 إبريل 2016: https://en.wikisource.org/wiki/October_Manifesto